دولة آل عثمان

٦

ختمنا المقال في الجزء الماضي بمقتل الملك الاشرف قانصوه الغوري في مرج دابق قرب حلب وزحف السلطان سليم على الديار المصرية . وقد نظم الشيخ بدر الدين ابو الفتح الصوفي زجلاً يصف به تلك المعركة وبوادرها ولواحقها وصفاً مسهباً يدل على احوال الناس في ذلك العصر فان المعركة حدثت في ايامه فوصف ما رآه وسمعهُ وذكر ما كان يتحدث به اهل بلده حتى ان من يقرأ هذا الزجل يشعر انهُ في عصر الغوري يسمع ما يقولهُ الناس ويشعر بما يشعرون به وقد بدأ الزجل بالشكوى من ابن عثمان (اي السلطان سليم) لانهُ منع التجار من جلب البضائع الى القطر المصري فقال نقلاً عن تاريخ ابن اياس

شربت شمس دولة الغوري ... وابن عثمان نجمهُ طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم ... والملك دار ولم يزل دايم
ابن عثمان باداه باخذ القلع ... ويتبع التاجر مع الجلاّب
ان يجيبوا الى مصر مملوك ... ولا فروة بستور ولا سنجاب
ولا وشق ولا ثعلب يجلبوا ... ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
على الصوف ياما قعدنا سنين ... ما يجي من عندو ولا تاجر
والاماره جوا للملك قالوا ... ابن عثمان باغي عليك جاير

***

ضرب الكل بهم مشوره ... قالوا ملّت منا القلوب والنفوس
نحن نخرج جميع لاجل القتال ... بالجنايب والسلاح واللبوس
ونجرد لنصرة السلطان ... نكسر الروم والاراضي ندوس
راهنوا بالنفوس وهم اثار ... كل واحد يعجبهُ قاسر
ولا يدري ما خبي لهُ الغيب ... من تقادير القادر القاهر
خامس العشرين من ربيع آخر ... لسنة اثنين وعشرين عام
كان خروج السلطان بتجريده ... لابن عثمان طالب بلاد الشام
والاماره في خدمته موكبين ... بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهره ... كان بتقدير الواحد القاهر

في تحفه خرج معهُ القاضي كاتب السر المنخب محمود
والخليفة المتوكل والد يعقوب هو محمد فعلو الجليل محمود
وقضاة القضاة ومن معهم كاتب قد ابذل المجهود
دخلوا الشام اوكب فيهم موكب ما سمعنا موكب رقي مثله
ولا نالو ملك ولا سلطان في المواكب ولا احد قبله
ومن الشام خرج دخل في حلب وقطع من وعره الى سهله
وسليم شاه لما سمع اظهر ان طبعو منها بقي حاير
طلب الصلح ارسل لهم قاصد بالهدايا والملبس الفاخر
جوجواسيس الاشرف الغوري اعلموهُ انو عليهِ ماكر
قالوا احذر تركن الى صلحهم واعلم انو خاين عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز والعساكر معولاجل القتال
وجد الروم مجهزين بالسلاح والتراكيش معمره بالنبال
ووقع بين العسكرين وقعه للفريقين شابت لها الاطفال
نصر الله المصري على الرومي وبخيار اضحى عليهِ قاير
ولا يدري ما ندخي في الغيب ولا يدري ما هو اليهِ صاير

ثم قال ما مفادهُ ان العسكر المصري اشتغل بنهب معسكر الروم فارتدَّ ابن عثمان عليهِ ووصف مقتل الغوري وطلب من الله ان يكشف العار باخذ الثار ويرد الكسرة على الكافر وغنيٌّ عن البيان ان هذا الزاجل ذكر ما جرى وعبَّر عمَّا كان يختلج في صدور قومهِ بلغتهم المألوفة

ولما بلغ المصريين ان السلطان سليماً اخذ الشام اوجسوا ان يزحف على مصر ويأخذها ايضاً فلجأوا الى التوسل بالاولياء وفي ذلك يقول ابن اياس

يا ابن عثمان كفَّ عن اخذ مصر بلد شرفت بخير امام
حبرنا الشافعيّ قطب ولي نجل ادريس عمدة الاسلام
هي تدعى كنانة من غزاها قصم الله ظهرهُ بالحسام

ثم قال ما خلاصتهُ وجعل الملك الاشرف طومان باي يستعد لطوارق الحدثان ولا سيما بعد ان بلغهُ وصول الجنود العثمانية الى غزة واخذها فعرض عجلات من خشب تجرها ابقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانت نحو ثلاثين عجلة او فوق ذلك وعرض جمالاً وفوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال وعرض طوارق خشب

من جنود الاتراك رماة في القرن السادس عشر

احد فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

فارس تركي في القرن السادس عشر

من فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

للرماة بالنشاب فتوهي قلب العسكر على القتال واظهر السلطان انهُ يخرج بنفسهِ الى قتال ابن عثمان واستحث بقية الامراء على الخروج بسرعة ولم يتفق على الامراء شيئاً وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن انفسكم واولادكم وازواجكم فان بيت المال لم يبقَ فيهِ لا درهم ولا دينار وانا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم وما عندي نفقة انفقها عليكم

ويوم الاثنين في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٢٢ خرج بعض المماليك السلطانية نحو المطرية فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان فقالوا لهم مَن انتم فقالوا نحن قصّاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وكانوا نحو ١٥ وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليهِ ثياب مخملة ورأوا صحبتهم رجلاً من مصر يقال لهُ عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتابكي سودون العجمي فلما قتل وملك ابن عثمان حلب والشام تحشّر فيهِ بواسطة يونس العادلي والسمرقندي فلما ارسل ابن عثمان هذا القاصد ما جسروا يجيئون من جهة غزة فان نائب الشام جان بردي الغزالي كان بالقرب من غزة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزة فبرطل القاصد بعض العربان بمال لهُ صورة حتى اتوا بهم من طريق الدرب السلطاني وطلعوا بهم من التيه واتوا بهم الى العجرود فما شعر بهم اهل مصر الاّ وهم في وسط المدينة . فلما صادفهم هؤلاء المماليك قبضوا على القاصد الكبير وعلى جماعتهِ وعلى ابن محاسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على الجميع فبينما هم على ذلك اذ رأوا ثلاثة انفار من الارنام الذين في خان الخليلي قد اتوا اليهم وسلّموا عليهم وباسوا ايديهم فقبض عليهم هؤلاء المماليك وقالوا لهم من اين علمتم ان هذا القاصد يجيء اليوم حتى اتيتم اليهِ ما انتم الاّ جواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعلمهم اشبعوهم ضرباً ..... ولما مثل عبد البر بن محاسن بين يدي السلطان شرع يطنب في اوصاف ابن عثمان وفي تزايد عظمتهِ فمن جملة ما حكى عنهُ انهُ لما دخل الى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة اهل مصر من جملتهم خليفة سيدي احمد البدوي وآخرون من الاعيان من تخلفوا بحلب . واخبر ان عسكر ابن عثمان فوق الستين الفاً وانهُ خطب باسمهِ من بغداد الى الشام وان مملكتهُ ماشية من بغداد الى الشام وانهُ لما دخل الى الشام وملكها شرع في عمارة سور وابراج من القابون الى آخر مدينة دمشق ويقول ما ارجع حتى املك مصر واقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة . واخبر ان ابن عثمان يتحجب عن عسكرهِ اياماً لا يظهر فيها في هذه المدة يقتل عسكرهُ خلقاً في المدينة ويجاهرون بالمعاصي وانهم لا يصومون شهر رمضان ويشربون فيهِ الخمر والبوزة ..... فلما اطنب ابن محاسن في اخبار ابن عثمان

خنق منهُ السلطان وقال لهُ انت جاسوس من عند ابن عثمان اتيت لتكشف اخبارنا وتطالعهُ بذلك فرسم بسجنهِ في البرج الذي بالقلعة . وقد قطع قلب العسكر بما حكاهُ

واضطربت احوال الديار المصرية واخذكل احد حذرهُ من ابن عثمان وقالوا مثلما طرقنا فعسّاهُ على حين غفلة كذلك هو يطرقنا ايضاً على حين غفلة فشرع الناس في تحصين اماكن في اطراف المدينة وجوانبها ليتقوا فيها اذا دخل ابن عثمان الى مصر

ثم ان السلطان نادى للعسكر ان اول النفقة يوم الاربعاء ٢٣ الشهر (ذي القعدة) فجلس في الحوش على الدكة وطلع العسكر لقبض النفقة فانفق عليهم لكل مملوك ثلاثين ديناراً وجامكية ثلاثة اشهر بعشرين ديناراً فرموا تلك النفقة في وجهه وقالوا ما نسافر حتى نأخذ مئة دينار لكل مملوك فاننا لم يبقَ عندنا لا خيول ولا قماش ولا بركٌ ولا سلاح فنزلوا كلهم من القلعة وهم على غير رضى فخنق منهم السلطان وقام عن الدكة وطلع الى المقعد وقال ما اقدر على مئة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك فولوا عليكم من تختارونهُ في السلطنة وانا اتوجه الى مكة او غيرها من البلاد . فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب

وذكر ابن اياس اموراً كثيرة من هذا القبيل تدل على ان البلاد كانت فوضى ثم قال ان السلطان احتال على جمع المال ببيع ما في الخزائن من التحف والذخائر والصوف والسمور والبطيخي وارضى المماليك فانفق على كل مملوك خمسين ديناراً وثمن اللحم والعليق المكسر من خمسة اشهر وفرّق الاموال على الفقراء في الزوايا والمزارات وقال لهم ادعوا بالنصر للسلطان وقرأ عدة ختمات عند الامام الشافعي والامام الليث

وفي الخامس من ذي الحجة وصل الامراء الذين نجوا من غزة وهم في اسوإ حال وذكروا عن ان عثمان ان مع عسكره رماحاً بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسهِ ويلقونهُ على الارض . وذكر جان بردي الغزالي (الذي كان نائب دمشق) انهم رموهُ على الارض ولولا ان غلمانهُ قاتلوا عنهُ العثمانية لكانوا حزوا رأسهُ . وحكوا عن عسكر ابن عثمان انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجاموس في اول العسكر

ورمج في اذهان الناس حينئذٍ ان دولة الجراكسة قد آلت الى الانقراض وان ابن عثمان هو الذي يملك البلاد لكن السلطان بقي على عزمهِ وعرض الزردخانة في عيد الاضحى وهي مئة عجلة من الخشب وتسمّى عند العثمانية عربات وكل عربة منها يسحبها ابقار وفيها

محملة نحاس ترمي بالبندق الرصاص ونزل من المقعد وركب وصار يرتب العجلات في مشيها بالميدان ثم انسحب بعد العجل مئتا جمل محملة طوارق نحو الف وخمس مئة طارقة وعجلة ايضاً بارودًا ورصاصاً وحديدًا ورماح خشب وقدام العجلات اربعة طبول واربعة زمور وقدامها من الرماة نحو مئتي انسان ما بين تركمان ومغاربة وبايديهم صناجق بملكي ابيض وكندكي احمر وهم يقولون الله ينصر السلطان وجماعة من النفطية ما بين عبيد وغيرهم يرمون بالنفط قدام العجلات

ووصف ابن اياس مرور هذا المركب في شوارع القاهرة وقال انهُ اشيع حينئذٍ ان صاحب رودس ارسل الى السلطان الف رام من جماعتهِ يرمون بالبندق الرصاص وارسل اليهِ عدة مراكب فيها بارود فوصلت تلك المراكب ثغر دمياط وهذه عولة من صاحب رودس الى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان . ثم ثبت ان الاشاعة كاذبة

ووصلت الاخبار بان عساكر ابن عثمان وصلت الى بلبيس فاراد السلطان ان يخرج لقتالهم هناك فلم تمكنهُ الامراء من ذلك . قال ابن اياس ولو لاقاهم هناك لكان هين الصواب فان خيولهم كانت متعبة وهم في غاية التعب لانهم مشوا من حين خروجهم من الشام

وامر السلطان جنودهُ ان يبيتوا تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسين آلة حربهم وان لا يناموا الا مناوبةً مخافة ان يهجم عليهم العثمانيون تحت جناح الليل . فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب اهلها باولادهم وعيالهم وقماشهم واتوا القاهرة خوفاً على نفوسهم وكذلك غالب فلاحي الشرقية خوفاً من النهب والقتل وجعل عربان السوالمة يقبضون على كل من يصادفونهُ من العثمانية ويقطعون رأسهُ ويحضرونهُ الى بين يدي السلطان فيأمر بتعليقهِ في باب النصر او باب زويلة . ثم عرض العسكر بالريدانية وهم لابسون آلة حربهم وعرض الامراء المقدمين والعشراوات وسار الى بركة الحاج ومعهُ الامراء والعسكر وعاد الى الوطاق وقدامهُ الطبول والزمور والنفوط فامتدَّت العساكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية حتى سدَّت الفضاء . ولما وصل ابن عثمان الى بلبيس امر السلطان بحرق الشون التي في بلبيس وما حولها حتى الشون التي في الخانكاه فاحرقوا التبن والدريس والقمح والشعير والفول

ويقال ان رجلاً اسمهُ ابرهيم السمرقندي من المدينة الشريفة طاف من بلاد العجم الى بلاد الروم وكان يعرف اللغة التركية ووصل الى مصر والتصق بالسلطان الغوري وصار من اخصائهِ فلما جرى للغوري ما جرى التفَّ على سليم شاه بن عثمان وصار من اخصائهِ . وقيل

انهُ هو الذي حسَّن لهُ ان يدخل مصر ويتملكها ويستأصل الجراكسة منها واطمعهُ في ذلك واتى معهُ الى الديار المصرية فاحتال عليه بدوي واضافهُ وقطع رأسهُ واتى بهِ الى السلطان طومان باي وقال لهُ ماذا تعطي من يأتيك برأس ابرهيم السمرقندي فقال اعطيهِ الف دينار فاخرج الرأس من تحت برنسهِ فلما تحققهُ السلطان انهُ رأس السمرقندي اعطاهُ الف دينار

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة وردت الاخبار ان جاليش عسكر ابن عثمان نزل بركة الحاج فاضطربت احوال مصر واغلق اهلها باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر وباب القنطرة وغيرها من ابواب المدينة واغلقت الاسواق وتعطلت الطواحين وقلَّ الدقيق والخبز من الاسواق ونادى النفير بالوطاق فركب العسكر قاطبةً وركب الامراء المقدمون والامراء الطبلخانات والعشراوات واجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقاً ومن المماليك السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين الف فارس وركب السلطان طومان باي وجعل يرتب الامراء على قدر منازلهم وصفَّ العسكر من الجبل الاحمر الى غيط المطرية ولم يقع في ذلك اليوم قتال بين الفريقين . وكان السلطان طومان باي قد نصب وطاقهُ في الريدانية وحصَّنهُ بالمكاحل والمدافع وصفَّ الطوارق ووضع عليها تسانير من خشب وحفر خندقاً من الجبل الاحمر الى غيط المطرية وجعل خلف المكاحل نحو الف جمل جمل من السليق لانهُ ظن ان القتال يطول بينهُ وبين ابن عثمان فجاء الامر على غير ذلك لان ابن عثمان اقام يومين في بركة الحاج ثم زحف يوم الخميس في التاسع والعشرين من ذي الحجة ووصلت طلائعهُ الى الجبل الاحمر وتلاقى الجيشان في ارائل الريدانية فكان بينهما معركة عظيمة اعظم من معركة مرج دابق وقتل من العثمانيين خلق كثير وقتل سنان باشا لا لا ابن عثمان وكان اكبر وزرائهِ وانقسم العثمانيون فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة هجمت على العسكر المصري عند الوطاق بالريدانية وطرشوهم (رموهم) بالبندق الرصاص وهجموا عليهم هجمة منكرة فقتل من عسكر مصر خلق كثير ومن الامراء المقدمين جماعة كبيرة ولم يكن الا خمس عشر درجة (ساعة) حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبراً وثبت السلطان طومان باي بعد الكسرة نحو عشرين درجة (ساعة وعشرين دقيقة) وهو يقاتل بنفسهِ في نفر قليل من العبيد الرماة والمماليك الجلبانية ولما تكاثرت عليهِ العساكر العثمانية خاف ان يقبضوا عليهِ فطوى الصنجق السلطاني ولاذ بالفرار

اما الفرقة العثمانية التي سارت من تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطاني وعلى وطاق الامراء والعسكر ونهبت كل ما كان فيهما من قماش وسلاح وخيل وجمال وابقار

وغنمت المكاحل والطوارق والتساتير والعربات والبارود ولم تبق شيئاً ودخلت القاهرة عنوةً وسارت جماعة منها الى المقشرة واحرقت بابها واخرجت من كان فيها من المحابيس من العثمانية والديلم ووقع النهب في القاهرة وبولاق وفي ذلك يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني

نبكي على مصر وسكانها قد خربت اركانها العامره
واصبحت بالذل مقهورةً من بعد ما كانت هي القاهره

ويوم الاثنين سابع سنة ٩٢٣ (٢٣ يناير سنة ١٥١٠) دخل القاهرة امير المؤمنين المتوكل على الله ومعهُ وزراه ابن عثمان والجم الكثير من العساكر العثمانية وملك الامراء خائر بك وقاضي قضاة الشافعية والقاضي المالكي والقاضي الحنبلي وكل هؤلاء كانوا في اسر ابن عثمان من حين مات السلطان الغوري . فلما دخل الخليفة من باب النصر شق القاهرة وقدامهُ المشاعلية تنادي للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد اغلق باب الظلم وفتح باب العدل وان كل من عندهُ مملوك جركسي ولا يغمز عليهِ وظهر عندهُ يشنق والدعاء للملك المظفر سليم شاه بالنصر . فضجَّ لهُ الناس بالدعاء ولكن المناداة لم تجدِ نفعاً لان كثيرين جعلوا ينهبون البيوت بحجة انهم ينتشون عن المماليك الجراكسة واستمرَّ النهب والسلب ثلاثة ايام متوالية . ويوم الجمعة خُطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة وترجم لهُ بعض الخطباء في خطبتهِ فقال وانصر اللهمَّ السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه اللهمَّ انصرهُ نصراً عزيزاً وافتح لهُ فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين . وقال ابن اياس في ختام ذلك العام هذين البيتين

ختم العام بحرب وكدَرْ وجرى للناس غايات الضررْ
واتاهم حادث من ربهم كل هذا بقضاء وقدَرْ

ثم قال ولما كثر العثمانية في القاهرة جعلوا يدورون في الحارات والازقة والاسواق وكل من رأوهُ لابساً زنطاً احمر وشخفية قالوا لهُ انت جركسي وقطعوا رأسهُ فلبس اولاد الناس كلهم عمائم حتى اولاد الامراء والسلاطين وابطلوا لبس الشخافيف والزنط من مصر . ويوم الاثنين ثالث المحرم دخل السلطان سليم القاهرة بموكب عظيم من باب النصر واستمرَّ سائراً حتى دخل من باب زويلة ثم عرَّج من تحت الربع وتوجه من هناك الى بولاق ونزل تحت الرصيف . ولما كانت ليلة الاربعاء خامس الشهر لم يشعر الا وقد هجم عليهِ السلطان طومان باي بمن معهُ من العساكر واستمرَّ القتال الليل كلهُ واليوم التالي الى ما بعد المغرب . ثم نزل في جامع

شيخ العمري الذي بالصليبة وصار يكر على العساكر العثمانية . وانتشرت اجساد القتلى من بولاق الى قناطر السباع واعيدت الخطبة لهُ في القاهرة . واستمرت الحال على ذلك من فجر يوم الاربعاء الى يوم السبت ثامن المحرم وحينئذٍ تفرّق اتباعهُ عنهُ ولم يبقَ معهُ الاَّ نفر قليل فاركن الى الفرار وحلَّت حينئذٍ المصيبة العظمى بالقاهرة فاحرق العثمانيون جامع شيخو والبيوت التي حولهُ في درب ابن عزيز واعملوا السيف في كل مَن وجدوهُ وطرحت الجثث في الطرق من باب زويلة الى الرميلة ومن الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان من قتل في هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة اكثر من عشرة الآف نفس في هذه الاربعة الايام . وقبض العثمانيون على نحو ثمانمئة مملوك وضربوا رقابهم

وصعد السلطان سليم الى القلعة بموكب حافل ومعهُ المماليك الذين طلبوا الامان وخرب اكثر الاماكن التي في القلعة وذلك رخامها وبعث بهِ الى القسطنطينيَّة

اما السلطان طومان باي فانهُ لجأ الى الصعيد وجيَّش الجيوش منهُ وكتب الى السلطان سليم يقول لهُ ذلك ان كنت تريد ان اجعل الخطبة والسكة باسمك واكون نائبًا عنك في مصر واحمل اليك خراجها حسبما يقع الاتفاق عليهِ بيننا فارحل عن مصر انت وعسكرك الى الصالحية واحقن دماء المسلمين وان كنت لا ترضى بذلك فاخرج ولاقني في بر الجيزة ويعطي الله النصر لمن يشاء منا . فلما وقف السلطان سليم على ما كتبهُ السلطان طومان باي احضر امير المؤمنين (اي الخليفة) والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائهِ وكتب صورة حلف الى السلطان طومان باي ووقع الاتفاق على ان الخليفة والقضاة الاربعة يذهبون بذلك الحلف اليهِ فذهبوا ومعهم قاصد السلطان سليم وبعض رجالهِ لكن الخليفة لم يذهب معهم بل ارسل نائبهُ فلما وصلوا الى البهنسا خرج عليهم جماعة من الجراكسة وقتلوا البعض منهم ونهبوا امتعة القضاة فاغتاظ السلطان سليم من ذلك ورأى ان لا سبيل الى الصلح فنقل وطاقهُ الى بركة الحبش وامر باحضار الامراء الذين طلبوا الامان وهم اربعة وخمسون اميرًا وضرب اعناقهم بثار قاصدهِ ورجالهِ الذين قتلوا في البهنسا . ثم عبر الى بر الجيزة لانهُ بلغهُ ان طومان باي وصل الى المنوات ومعهُ جيش كبير من العربان والمماليك الجراكسة . والتقى العسكران على وردان وليل على المنوات وكان بينهما واقعة اعظم من واقعة الريدانية فدارت الدائرة اولاً على العساكر العثمانية ثم ارتدَّ هؤلاء وكسروا طومان باي ورجالهُ فلاذ بالفرار ولاقاهُ حسن ابن مرعي وشكر ابن اخيهِ من مشايخ الجيزة وطلبا منهُ ان يضيفهما ولم يكد يدخل منازلهما

حتى احتاطت به العربان وقبضوا عليه ووضعوه في الحديد واتوا به الى السلطان سليم فلما وقعت عينهُ عليه قام لهُ اجلالاً لكنهُ ابقاهُ عنده في الحديد الى يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول ثم أُركب على كديش وسير به من برانيابه الى بولاق ومنها الى باب زويلة وشُنق هناك . وقد اسف عليه اهل مصر اسفاً شديداً لانهُ كان حسن الشكل كريم الاخلاق شجاعاً مقداماً ساس الناس احسن سياسة لما كان نائباً عن عمهِ السلطان الغوري ولما تسلط بعدهُ ابطل كثيراً من المظالم

هذا وسنأتي على بقية اخبار السلطان سليم في الجزء التالي . وقد ابقينا على كثير من تراكيب ابن اياس والفاظهِ حيث لم نخشَ خفاء المعنى

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاخبار وجوب فتح هذا الباب فتقتبسهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مختلفان من اصل واحد فمناظراك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاتب اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المقالة

المأمون ويحيى بن اكثم

حضرة الدكتور الفاضل منشىء المقتطف

قرأت في الجزء الثاني من مقتطف هذه السنة تقريظاً لكم على كتاب (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) فعلتم انهُ اعجبكم ما فيهِ من الفوائد الى أن وقع نظركم على احدى صفحاتهِ فانعكس الامر والقيتموهُ من يدكم مستغفرين الله مما كنتم نشرتموهُ في المقتطف من ترجمة المأمون . قائلين « ان احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربية في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ » قرأت هذا فتنسمت من خلال سطوره انكم لا تتقمون من احمد بك مبالغتهُ في وصف حضارة العرب وانتصارهُ على الحسن الجميل منها بل انكم تتقمون ايضاً ان يكون للعرب حضارة وقد نسب الرواة الى خلفائهم وقضاتهم ما نسبوا